بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وتمم بالخير

نحمدك اللهم على ما اعطيتنا من سوابغ النعم وبوالغ الحكم وصلي على نبيك الهادي
للعرب والعجم على وجه اكمل واتم . قوله نحمدك آثر الحمد على الشكر لان الحمد يعم
الفضائل والفواضل والشكر يختص بالاخير وكان لله تعالى من عظائم النوال مما لا
يحصره العد والاحصاء فله سبحانه وتعالى من صفات الكمال ما لا يحوم حوله
الانتهاء والفناء ولان تصدير الكتاب بثناء الله تعالى للعمل بموجب حديث الابتداء
وانه ورد بلفظ الحمد فانه صلى الله تعالى عليه وسلم كل امر ذي بال لم يبدأ فيه بحمد الله
فهو اجذم ولانه لو افق الكتاب المجيد وانه ورد بلفظ التحميد وعلى المدح لانه
يعم ما لا اختيار للممدوح فيه والحمد يختص بما للمحمود فيه اختيار وقيل والمدح يعم غير
الحي ويكون قبل الاحسان وبعده والحمد يختص الحي ويكون بعد الاحسان فالحمد اولى
لدلالته على كونه تعالى حيا وصل احسانه الى العباد وان ما له سبحانه من صفات الكمال
وجزيل النوال باختياره تعالى وانه انما بالاختيار على ما يسلم الاختيار لا يخفى
على ذوي الابصار ولما ذكرنا اخر امن الوجهين في الادل وآثر الجملة الفعلية على الاسمية
مع كونها عاطلة عن حلية الدوام والثبات الذي يدل عليه الاسمية لان الفعل
المضارع يدل على الاستمرار التجددي وانه اولى بالاعتبار في هذا المقام من الثبات
والدوام لدلالته الاول بمقتضى المقابلة على ان ما تقابل الحمد من انواع الانعام
اصناف الافضال التام متجددة على الاستمرار فلابد لحمد عن انعام جديد ومزيد
غب مزيد فظهر وجه اختيار صيغة المضارع من بين صيغ الافعال وانما
صيغة المتكلم مع الغير على صيغة المتكلم وحده كما ذكر في المفصل فللدلالة على
عظم شان الله تعالى لما يتضمنه من الاشارة الى ان هذا الامر العظيم والخطب الجسيم

مما لا يمكن ان يتولاه وحده بل يحتاج الى معاون ونصير وممد وظهير وربما يدعي
ان فيه اشارة الى ان حمده سبحانه وتعالى ليس بمجرد اللسان بل به والجنان والاركان
على ما قال الامام الرازي ان حمد الله تعالى يعم الموارد الثلثة ووجهه ان يجعل يا نحمد
من الموارد حامدا حامدا كما يجعل ما يقطع به قاطعا كالسكين وهذا كما ذكره بعض اهل
التحقيق في قوله عليه السلام صلوة الجماعة تفضل على صلوة الفذ ان صلوة الجماعة هي
الصلوة بالظاهر والباطن وصلوة الفذ هي الصلوة بالظاهر فقط وآثر حرف الخطاب
في نحمدك على اسم الله الدال على استجماعه تعالى بجميع صفات الكمال اشارة الى ان هذا
الاستجماع من الظهور بحيث لا يحتاج الى دلالة عليه في الكلام بل ربما يدعى ان ترك
ذكر ما يدل عليه اوفق لمقتضى المقام بل المهم الدلالة على انه قوي للحامد محرك الاقبال
وداعي التوجه على جنابه على الكمال حتى خاطبه على ما يجيء بيانه في اللطيفة المختصة
بالالتفات في اياك نعبد وآثر تاخير المفعول على تقديمه الدال على الاختصاص
المناسب للمقام كما ذكر في المفصل لان تقديم الحمد كما سيجيء اشد طباقا بمقتضى المقام
وجار على ما هو الاصل من تقديم الفاعل على المفعول ولما فيه من لطف الاشارة الى ان
ما يشعر تقديم المفعول من الاختصاص امر كفت شهرته واستقراره في العقول مؤنة ذكر
ما يدل عليه بل ربما يدعى ان ذكره من فضول الكلام ان مشرب الاختصاص ههنا
لا يصفو عن شوب شبهة فان المناسب ههنا قصر الافراد وانه يتوقف ظاهرا على
ان يعتقد المخاطب ان الحامد المومن مشرك وفيه ما فيه وحمل التقديم على مجرد الاهتمام
وان كان دافعا للشبهة لكنه محتمل بخلاف المقصود احتمالا راجحا لان التخصيص
لازم للتقديم غالبا وآثر كلمة يا الموضوعة لنداء البعيد على ما قيل في قوله
يا من يرى مع انه سبحانه اقرب الينا من حبل الوريد هضما لنفسه واستبعادا لها
عن مظان الزلفى وقدم شرح الصدر على تنوير القلب لان الصدر وعاء القلب

Copyright © King Saud University